[333] فمن في الكارة ممن تعنى به حتى أطلقه. فقلت: كلهم عندي بمنزلة واحدة فلو أفرجت عن الجميع كان أحسن بك. فقال: وا لولا أن أصحابي فرقوا ما أخذوا لفعلت ذلك ولكنهم لا يطيعوني في رده إلا أنى لا أدع أحدا يأخذ من السفن الباقية شيئا بعد هذا فجزيته الخير فصعد إلى الشط وأصعد جميع أصحابه ومنع أن يؤخذ شئ من السفن الباقية فما تعرض إليها أحد ورد على قوم ضعفاء أشياء كثيرة كانت أخذت منهم وأطلق الناس وسار معى في أصحابه إلى أن صار بينى وبين المأمن شئ يسير ثم ودعني وانصرف إلى أصحابه. حدثت عن بعض التجار البغداديين. قال: خرجت بسلع لى ومتاع من بغداد أريد واسطا، وكان اليزيدى بها. والدنيا مفتتنة، فقطع على الطريق وعلى الكار الذى كنت فيه لص كان في الطريق يقال له ابن حمدون يطلع قريبا من بغداد فأفقرني وكان معظم ما أملكه معى فسهل على الموت وطرحت نفسي له وكنت أسمع ببغداد أن ابن حمدون فيه فتوة وظرف وأنه إذا قطع لم يعرض لاصحاب البضائع القليلة التى تكون دون الالف وإذا أخذ ممن حاله ضعيفة شيئا قاسمه عليه فترك شطر ماله في يديه وأنه لا يفتش امرأة ولا يسلبها وحكايات كثيرة مثل ذلك فأطمعني ذلك في أن يرق لى فصعدت إلى الموضع الذى هو فيه جالس فخاطبته في أمرى ورفقته ووعظته وقلت له: إن جميع ما أمتلكه قد أخذه وإنني أحتاج إلى أن أتصدق من بعده. قال: فقال لى يا هذا: لعن ا السلطان الذى أحوجنا إلى هذا فإنه قد أسقط أرزاقنا فاحتجنا إلى هذا الفعل ولسنا فيما نفعل ارتكاب أمر عظيم مما يرتكبه السلطان أنت تعلم أن ابن شيراز ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر المكثر فلا يخرج من حبسه وهو يهتدى إلى شئ غير الصدقة وكذلك يفعل اليزيدى بواسط والبصرة والديلم وبالاهواز وقد علمت أنهم يأخذون أصول الضياع والدور والعقار ويتجاوز ذلك إلى الحرم والاولاد فاحسبونا نحن مثل هؤلاء. فقلت أعزك ا ظلم الظلمة لا يكون حجة، والقبيح _____